انه لم يجد ثمة تعارضا يحتاج الى حل او توفيق ومن هنا فأن اختياره ليكون اول معتمد بريطاني في عهد الانتداب لم يحدث الا لانه كان معترفا بـه كنصير متحمس للصهيونية ، ويقول الكاتب ان سجل اعمال صموئيل في هذا المنصب يمكن أن يقدم الدليل على سلامة اختيار لويد جورج له والواقع ان هذا الاخير كان بدوره متعاطفا مع الصهيونية فهو صاحب وعد بلفور وعلى أساس هذا الوعد كانت بريطانيا تعلن أنها الاحق في أن تعهد لهـا عصبة الامم بالانتداب في فلسطين ، وهل ثمة ما هو افضل من متعاطف مع الصهيونية لينهض بتنفيذ سياسة صهيونية .

أما هربرت صموئيل فقد كتب في مذكراته ان الحكومة عينته في منصبه وهي على معرفة كاملة بعواطفه الصهيونية — بل بسبب هذه العواطف — ولكنه يستدرك فيقول أنه لم يكن يعمل باسم الصهيونيين ولكن بأسم الملك (!) .

ويورد الكاتب مظاهر الصراع التي كانت تقوم بين رجال الحكم البريطاني في المنطقة بين اولئك الذين كانوا يعتبرون ان الوقوف في صف العرب هو الذي يحقق المصالح الانجليزية وبين الاخرين — هربرت صموئيل بالذات — الذي كان يرى الوجود الصهيوني هو التضامن الحقيقي لهذه المصالح .

اذن فبمقارنة بسيطة بين فشل الفكرة القومية وسط شعوب المنطقة الاصليين ونجاحها عند تطبيقها بواسطة الجماعات الصهيونية الوافدة — من خلال هذه المقارنة يظهر بجلاء الفارق الحضاري بين طرفي المواجهة .

والعلاج ؟ يعود الكاتب الى الموقف الذي اتخذه من النضال الوطني المصري فهو يقول دون تحفظ « ان الوسيلة الوحيدة لاجراء اصلاحات على النمط الاوروبي ، واذ كان ثمة دول سيتم اقامتها (لسنا في حاجة الى كثير من العناء لنتذكر ان الدولة المطروح اقامتها على أساس قومي في المنطقة هي الخاصة بشعب فلسطين) — فليس الا طريق واحد لذلك ، به تصبح هذه العمليات مفيدة ولا تؤدي الى كوارث ، على اوروبا نفسها ان تدير هذه الدول وان تضمن لها النجاح » . ويبدي بعض الاعتراضات التي يمكن ان تثار في وجه هذا الرأي ولكنه يعود فينذر « ان ما حدث للارمن او ليهود العراق هو ثمرة الاضطراب الذي يؤدي اليه اقتباس المبادىء الغربية وما زال من الممكن ان يحدث شبيه لذلك مرة اخرى في المستقبل » .

ما هي الاعتراضات التي يمكن ان توجه الى هذا الرأي ؟ انها في عبارات المؤلف : اولا « التنافس بين القوى » . ثانيا « ان الاوروبيين يرفضون ذلك باعتباره طريقا امبرياليا وغير اخلاقي » . واخيرا « فقدان الاعصاب والاخلاق الذي يغري باستخدام القوة والنفوذ دون مسؤولية» أما معارضة شعوب المنطقة فلا ذكر لها ضمن الاعتراضات التي تثار ضد عودة الاستعمار في شكله القديم الى المنطقة .

الاعتراضات التي يقدمها قدوري هي في حقيقة الامر اغراءات — انه يدعو القوى العظمى للتنسيق فيما بينها ، ولترك الرومانسية السياسية والتخلي عن الانهزامية وممارسة الردع بأعصاب هادئة وباردة لان هذه الشعوب قد اعتادت خلال تاريخها على مثل هذا النوع من الحكم ، ولقد اصابها المرض والازمة لان بعض الجهلة والمتسرعين والرومانسيين حاولوا معاملتها بأسلوب من الحكم لا تعرفه . وهنا يواصل المؤلف الخط الذي تبناه في جميع هذه الدراسات فهو اذ يشير الى حركات التحرر في مختلف البلاد العربية يخلص الى ان الذين كانوا من بين البريطانيين يأملون في معونة زعماء عرب كانوا في وهم كشفت عنه الايام .

الصديق المخلص الحقيقي للنفوذ الاستعماري في المنطقة كان الوجود الصهيوني في فلسطين .

هنا نستطيع ان نجيب على السؤال الذي طرحناه من قبل عما اذا كان للحل الاستعماري في صورته التسلطية ، الذي يطرحه المؤلف لعلاج مشاكل المنطقة ، فرصة لان يطبق فيها ؟ الاجابة : نعم . وما هي الوسيلة ؟ ذراع الغرب الغليظة والرادعة — اسرائيل أليست قادرة على توجيه الحملات العسكرية على النمط التقليدي القديم (الاسباني البرتغالي البريطاني الفرنسي الامريكي مع الهنود الحمر) غتملأ السكان المحليين ذعرا يضطرهم الى الهرب وتمزق الجيوش البدائية بأدوات الحرب والمعرفة الحديثة .

أليست قادرة على احتلال الاراضي وممارسة سياسة الردع خالصة صريحة .